وعين كـــمـــرآة الصناع تديرها　　لمحـجـرها من النصـيف المنقب
له أذْنان تعـرف العـتق فـيـهـمـا　　كـسـامـعَتَي مـذعـورةٍ وَسْطَ ربرب
ومـسـتـفلك الذِّفـرى كـأن عنانه　　ومـتنانه فى رَأس جـذع مُـشَـذَّب
وأسـحمَ ريَّانِ العـسـيب كـأنه　　عـثـاكيلُ قِنو من سميحة مَرْطب
إذا مـا جـري شـأوَيْن وابتلَّ عِطفـهُ　　تقـول هزيزُ الريح مـرت بأثْأب
يدير قطاة كـالمحـالة أشـرفت　　إلي سند مـثل الغـبـيط المذأب

فإذا هو يبكر فى خروجه بفرسه الذى يراه قيداً للوحوش لسرعته وقوته ، وهو يعلوها جميعا كما يعلو كل الأشياء فى طريقه فلا يعوقه منها شئ ، ومن ثم نفذ إلى تصوير مظاهر قوته على المستوى الجسدى فى ضموره وملاسته وصلابته كرموز مجتمعة لقوته ، حتى راح يلتمس له الأشباه فـ « أيطلاظبى ضامر » ، أو « ساقا نعامة » ، أو سرعة « ذئب » أو سرعة « ثعلب » فى عدوه وجريه ، أو يصور حوافره فى سياق الشبه فى صلابتها بحجارة الماء التى لا تتفتت وقد علاها الطحلب فاصفرَّت واشتدت صلابتها ،ثم صور عنانه الذى شُدَّ به إلى يد فارسه ، فبدا كجذع نخلة سامقة لطول عنقه وضخامته ، وكذا كان منه مشهد الذيل مثل شماريخ نخل كثر ارتواؤه من مصادر المياه المتدفقة ، ومنه راح ينطلق إلى رحلة الصيد التى فصَّل فيها طويلا خاصة حول أحداث الفزع التي حلت بقطعان بقر الوحش ، وكذا الثيران الوحشية ، تلك التى راح بعضها يدفع بعضًا أمامه من شدة ما أصابها من فوضى الرعب فى زحام سرعة الفرس ، لينهي الرحلة بتصويره مظفرا منتصرا - كصاحبه - بدليل :

كـأن دمـاء الهـاديات بنحـره　　عـصـارة حناء بشـيب مُـخَـضَّب
وأنت إذا اسـتـدبرتَهُ سـدَّ لرجـهُ　　بضـافٍ فـويقَ الأرض ليسَ بأصْهَب

ولانريد هنا أن نتحول بالحديث إلى استعراض لتاريخ الفروسية العربية ولا الاستغراق فى حقولها المتنوعة فى شعرنا القديم إلا من خلال استكشاف توحُّد الشاعر العربى مع فرسه ، حين أحس تواجد الذات من خلاله ، وفى إطار تفاعلها معه ، وكذا كان تفاعلها مع ممدوحه حتى بدت الخيول لدي المتنبى - مثلا - فيما يتعلق بسيف الدولة مصدر ثقته فى النصر :

فـلا تسـتنكرنَّ له ابتـسـامـا　　إذا فَـهِقَ المكرُّ دمـاً وضـاقـا
فـقـد ضـمنت له المهجَ العَـوالى　　وحـمَّل همَّـه الخـيلَ العِـتـاقـا